خواطر ونقدات

العلم وجريمة التبشير

توجه العلم إلى ارتكاب الجريمة فى وضح النهار ، وما على العلم من ضير ، ولكن الضير كله على من استخدموه . فقد كان التنويم المغناطيسى حتى اليوم أسلوباً من أساليب الثقافة والكشف ـ وإن كانت وجهته للسلوى أوفر انتشاراً ، ولكن المبشرين قد مهدوا به سبيلهم إلى الجريمة ، حتى تمكنوا من رأسها وولغوا فى دمائها وتمرغوا فيها إلى الأذقان.

تمكنوا من ارتكاب الجريمة الشنعاء حين أوقفوا علم التنويم على اقتناص عقلية بريئة لم يكن من شأنها ان تكون فريسة لهم لو لم يسلطوا عليها ذلك السحر الأخاذ .

على ان الله قد رفع الستر عن السر الخبىء ، فاذا بالحقيقة ترفع رأسها فى ضوء الشمس ، وإذا بقصة (يوسف عز الدين عبد الصمد) تجرد اللعنة على مؤلفيها الأشرار .

لقد شاءوا ان يكون الفتى نصرانيا ، فأذهلوا عقله ، وأزاحوه عن صوابه ، وأطلقوه جائعاً مروعاً فى حجرة لاعهد له بها ، بعيداً عن أهله ، ولكن الله قد فضحهم ومزق حبالهم وأزاح عن الفريسة نبالهم .

لقد ارتكبوا جريمة السرقة مرتين : سرقة الفتى من مستقره ، وسرقة عقله من رأسه ، أما الفتى فقد عاد إلى ابيه ـ ومن شأن القانون ان يقتص له ـ واما عقله فقد عاودته اللوثة إلى اليوم ، وما من ريب فى ان الأوصاب التى يعانيها إنما هى وليدة ذهوله المرير

إن « التبشير » فى الأوساط الاسلامية امر يدعو إلى العجب ، فما من مسلم واحد رضى الفرار من دينه حتى لو كانت الطبيعة قد اسلمته إلى اعمق اعماق الهوان ، ولكن المبشرين قد استحوذت عليهم روح الجهالة ، فهم يطمعون ويأملون ويعملون حتى تتحقق آمالهم واطماعهم.

إن هذا الحادث يصور لنا جانبا من حدة التبشير فى مصر ، ولكن الجوانب المستورة اروع واروع ، هناك تبشير فى المدارس والمقاهى والنوادى والمستشفيات ، وهناك مبشرون يلبسون الأدب إهاب الدعاية الخافقة بكراهية الاسلام .

ولكن واحداً منا لم يفتح عينه على موضع السر فى ذلك ، وما نريد ان نستطرد او نسرف فى القول ، وإنما نريد ان يقف المبشرون عند حد معقول حتى لا تكون زوبعة تعصف باتحادنا المقدس ، فهل تدرك الرؤوس المفكرة ؟ وهل تعى ..؟ وهل للحكومة ان تفكر فى غل يد هذه المعاهد والنوادى والجمعيات ؟

وبعد : فاذا لم يدرك المبشرون ذلك تماما ، فسيدركونه قريبا ، يوم تحاربهم بسلاحهم الدنىء ، ويجرد لهم الازهريون « السلاح الأحمر » إذا لم يجد معهم سلاح المنطق .

مشروع القرش

يتساءل (بيرون) فى إحدى رسائله الخالدة فيقول : هل من قوة فى العالم تسير الأمم ، وتدبر أمر الشعوب غير قوة الشباب ؟ ولست أذكر الآن ماذا أجاب (بيرون) على نفسه ، ولكنى أذكر ان مجد الشباب وعظمته وقف على قوة دونها كل القوى البشرية ، تلك قوة الشباب التى تستطيع أن تبنى وتهدم فى دأب وفى جلد وهمة .

وإذا كان الأقدمون قد عرفوا الشباب بأنه «شعلة من جنون» فلعمرى ماذا أبقت الأيام من هذه القالة الجريئة ، ونحن نراه الآن شعلة من عقل ، أليس العقل نتاج الارادة التى لا تتورط فى ضلال ، ولا يقف دونها حائل ؟

لقد احتمل الشباب أعباء البعث فى كل صوره ، وكانت النهضة المصرية ـ على ضروبها ـ وليدة جهادهم الحافل ، وجهودهم النافعة ، وها نحن اليوم نرى .. ماذا ؟ نرى انهم قد خلقوا « مشروع القرش » واستنفدوا فكرته من قرائحهم التى لم تجدبها شواغل الحياة .

وما أظننى فى حاجة لأن اقول عن مشروع القرش إنه رأس لمؤسسة مصرية تقينا ـ إلى حد محدود ـ شر احتكار الأجانب ، فقد يكون هذا القول من البداهة بمكان الشمس نفاذاً فى الأبصار ، ولكنا نقول إن «القرش» الذى لايجدى عليك فى اتفه رغائبك ، واحقر مطالبك ، سيكون لبنة فى صرح كرامتك ، ولوناً فى صورة استقلالك .

أيها المصرى! إن اولئك الشبان الذين تطالعهم فى ناديك وفى مصنعك وفى حقلك ، وفى الشارع وفى كل مكان تختلف إليه ، ليطلبوا إليك (قرشا) واحداً ، إنما تتصل أسبابهم بأسبابك ، لأنهم بنوك وإخوتك ، ولأنهم اشبال اليوم وأسود الغداة ، ولأنهم إلى ذلك يتفيأون فى جولاتهم الجريئة بظل من آراء سديدة ، وعقول رشيدة ، آراء نخبة من خيرة القادة ، وعقول طائفة من أبنائك النابهين .

سترى ايها المصرى ان الأشبال الغزاة قد التفوا بك من اليوم (يوم أول فبراير ١٩٣٢) فليكن مقامهم حيالك كومضة الطيف ، أو غمضة الطرف ، لأنهم يبتغون لقاء الملايين من إخوانك ، حتى تكون جهودهم اجدى اثراً ، وأوفر إنتاجا .

هذا أوان الجد ، فاياك والعار تسجله على أمتك ، وتدع الأجانب بنا ساخرين .

حسن منصور

لم ينتصر أحد فى قضية الموت : فله وحده الغلبة والنصر ، وللصادقين الصالحين منه مقام هنىء رخى رضى ، فى جنات عرضها السماء والارض .

وليس على أحدنا أن تهده الفجيعة فى راحل يتصل بأسباب الخلد فى الآخرة ، ولكنها الطبيعة قد فطرتنا على التوجع ، وتعهدتنا بالأسى كلما عزب عن الدنيا وجه كريم .

وإذا كان ثمة من ألم يحفزنا على أن نسجل فجيعتنا فى الفقيد الكبير المرحوم الشيخ حسن منصور ، فما من ريب فى أن هذا الألم يدفعنا إلى إذاعة حياته فى الصورة التى طبعت بها وفطرت عليها ، وهى الصورة الرائعة الجيدة الخليقة بالبقاء والخلد .

كان الفقيد أسبق الذائعين فى ذهن الأستاذ الامام ، وانطلاقا على لسانه ، لأنه الرجل الذى عنى بالعلم للعلم ، خالصة نفسه من لوثة النفاق ، بريئة من أدران الدنيا وأوضارها الثقيلة ... وكانت صحبته للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مؤثرة على حواسه جميعاً ، فله منه اللسان الطلق ، والقلم الجوال ، والنظرة السديدة ، والرأى الرشيد ، والفكرة التى لا تلفها من اللبس أستار وحجب ... وله منه إلى ذلك العقل الحر الذى يعمل لينتج ، لا ليعيش فى ظل غيره .

ولقد وفرت عليه هذه الخصائص حالة الرضى ، بل قل وفرت عليه حالة الزهد ، فلم يسع إلى منصب ، ولم يكتنز العقار والذهب ، وإنما خرج من الدنيا فى حراسة قناعته ، وكأنه كان فى حياته الرجل المكدود الماحل .

ولعمرى ما يعيبه ذلك فى شىء ، فحسب العالم الاسلامى من أياديه أن استبقى من خلفه — دون ذريته — آثاراً فى التفسير باقيات : تفسير القرآن والحديث ، وحسب المناصب — إذا ما شئنا أن نتفاخر بها — أن يكون الفقيد قد رضيها فى حياته ، فكان له منها منصب الوكيل فى مدرسة القضاء الشرعى ، ومنصب الوكيل فى دار العلوم .

وإنه لباق على الزمن أن يحدد مكانة الفقيد الكبير ، وذلك التحديد رهن بصنائع تلاميذه ، أولئك الذين يجدر بهم أن يقدموا للعالم الاسلامى صور نتاجه فى سفر يتعهدونه بالضئيل الأقل من جهودهم المرتجاة .